

20 أكتوبر 2008

عدلي صادق

من هنا وهناك- الدراسات التاريخية

لم يكن ما أعلمه عن المؤرخ المصري والقومي الراحل رؤوف عباس، يزيد على نقطتين تتعلقان باسمه، أو لاهما انه الأستاذ الجامعي، الذي نافح عن الوحدة الوطنية للمصريين، ودافع بجرأة عن حق الإخوة المسيحيين، في نيل المراكز التي يستحقون، في حفل العمل الأكاديمي، والثانية هي صراعه المرير مع رموز الإسفاف في التعليم الجامعي، ومع كل من يحاول الإطاحة بضوابط ومعايير وشروط العمل البحثي، وبمقتضيات الحفاظ على المستوى الرفيع والمُنزّه، للجامعة المصرية. فعلى صعيد هذه النقطة الثانية، بدأت الحكاية عندما طلب منه عميد كلية الآداب في جامعة القاهرة، ذات يوم، ان يسهل العمل البحثي لنجل مسؤول متنفذ، وان لا بأس إن ساعده في الكتابة أو أعد له الأطروحة. يومها ثارت ثائرة رؤوف وتحدث عن سوق للنخاسة، في الحقل الجامعي، يبيع العالمون فيه انفسهم لغير العالمين، وقال لعميد كليته: إنك نخاس بلا ضمير. وبالطبع، لم تجر الأمور - بالمجمل - وفق مزاج رؤوف عباس، فاندحر التعليم الجامعي وبات مشكلة، تقام لأجل حلها الندوات والمؤتمرات. أما قضية الوحدة الوطنية، التي رآها عباس قاعدة لنهوض الأمم، ونقيضها هو الضياع والشقوق التي تدخل منها كل عناصر التصدع؛ فقد باتت حديث الناشطين عن خصوصيات الطوائف والمذاهب وحقوقها، بكلام حق يُراد به باطل اميركي، ذلك لان الأمور، لم تجر وفق مزاج رؤوف عباس وأمثاله من الوطنيين!

\* \* \*

مات رؤوف عباس في شهر حزيران الماضي. وقد ذهبت أمس لحضور تأبين له، من نوع خاص، يليق بسيرته لأكاديمية. فالتأبين عبارة عن لقاء علمي لتكريمه، أعدت له أوراق بحثية خُصصت لها أربع جلسات، في كل جلسة أربعة بحوث. وكان التكريم، في مبنى الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، التي كان يرأسها عباس. فالمبنى البديع، بقاعاته الانيقة والمجهزة، أقيم على نفقة الشيخ سلطان القاسمي، حاكم الشارقة وهو الباحث في تاريخ الخليج العربي. وفي بهو الطابق الأرضي، أمام قاعة سميت باسم الراحل رؤوف عباس، أقيم معرض لمؤلفات المؤرخ المصري، وفوجئت بالتنوع في موضوعات كتبه، وهو المختص بالتاريخ العثماني، أو بتاريخ بلادنا العربية في الفترة العثمانية. فلدى عباس بحوث في تاريخ اليابان، التي سافر إليها في الستينات، في إطار مهمة علمية لدى معهد اقتصاديات الدول النامية، فمد عباس اهتمامه ليُطال التاريخ المقارن، وتاريخ اليابان نفسها، وتعمق في مناهج البحث مستفيداً من اليابانيين. ووجدنا في معرض مؤلفاته، كتباً عن الحركة العمالية المصرية، وعن ثورة 52 وعن مناهج كتابة التاريخ، وفي نقد الاستشراق وغير ذلك. وبخصوص التاريخ العثماني، أسس رؤوف مدرسة مختصة في تمحيص الفترة العثمانية، واعتمد منهج العرض الاقتصادي الاجتماعي التاريخي، لمعيشة الناس وحياتها من مختلف الجوانب، ووضع الأرضية، لان يتابع منتسبو المدرسة، بحوثهم، على خُطى استاذهم!

\* \* \*

إن مجرد وجود الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، أثار في نفسي الإحساس بافتقارنا الى مؤسسة رصينة من هذا الطراز، ترعى العمل البحثي الجاد، وتخلق مناخاته، وتفصل الغث عن السمين، وترعى الدراسات التاريخية وتُجيزها، وتغلق الأبواب أمام فوضى البحوث توخياً للألقاب العلمية. فنحن أحوج الى مؤسسة تمحص تاريخ بلادنا وقضيتنا، في هذا الحقل من الاختصاص حصراً، لتأصيل الوعي الفلسطيني وتعميقه، وتقديم حقائق البلد والقضية، في إطار علمي مشوق، بدل ترك الوعي الشعبي للعشوائية وللنغرات التي تخلع على مناطق الوطن وناسها، وتميطات تافهة لا علاقة لها بحقائق التاريخ!

رئيس الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، الذي تبوأ موقع رؤوف عباس بعد رحيله، هو د. عادل غنيم، المؤرخ المقتدر، المتقدم في السن وفي التربة البحثية، والذي تخصص في الدراسات التاريخية الفلسطينية. ولعل هذا يحفزنا على التعاون معه، لإنشاء جمعية فلسطينية مماثلة. نقول ذلك مع علمنا، ان اتحاد الكتاب الفلسطينيين نفسه، لا يلقى

الرعاية لضعف التركيز على الجانب الأدبي والمعرفي، ولضعف حركة الكتاب انفسهم وضعف تواصلهم مع فضائهم  
العربي، غير انه لا بد مما ليس منه بُد!  
www.adlisadek.net  
adlishaban@hotmail.com

<http://www.alhayat-j.com/details.php?opt=1&id=75572&cid=1308#>